

القضية الفلسطينية في ميزان الربيع العربي

طوفان الأقصى فاعلاً محفزاً للحراك الشعبي العربي



د. أحمد فواز إبراهيم

د. عبد القادر عبد المعطي العزة

شباط/ فبراير 2025

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

فهرس المحتويات

1.....	فهرس المحتويات
2	ملخص
3	المقدمة
5	أولاً: بصمة القضية الفلسطينية في الربيع العربي (تأثير وتأثر)
15.....	ثانياً: هدير "طوفان الأقصى" فُرصة لإحياء الربيع العربي
16.....	1. عنصر المفاجأة.....
17.....	2. قلب التوازنات
19.....	3. في كسر الحاجز والعقيدة الأمنية
23.....	4. في العلاقة التوافقية: تناغم عربي مُتجدد
29.....	خاتمة
31.....	Abstract

القضية الفلسطينية في ميزان الربيع العربي طوفان الأقصى فاعلاً محفزاً للحراك الشعبي العربي

د. أحمد فواز إبراهيم¹ ود. عبد القادر عبد المعطي العزة²

ملخص:



تتمثل الأهداف الرئيسة للدراسة في تحري ما إذا كانت القضية الفلسطينية فاعلاً داخل ثورات الربيع العربي، بدراسة حالة "طوفان الأقصى" ومدى إسهامه، محدداً وفاعلاً للحراك الشعبي العربي. يتحقق ذلك بطرح إشكالية رئيسة

مفادها: هل سيُشكل طوفان الأقصى فاعلاً للحراك الشعبي العربي ضدّ أنظمتها السياسية؟ يتألف الربيع العربي بمكوناته الداخلي من مجموعة من المؤثرات أو المتغيرات التي هي بالمجمل نزوعاتٌ ظاهرة وباطنية تؤثر على المواطن العربي في حقله الجغرافي مع محيطه السياسي (النظام)؛ فهي تبرز كقوى مُحركة لفعاليات الشعوب، وتوجه سلوكها إلى التغيير أو الثورة. لهذا فإن حدثاً مثل طوفان الأقصى قد يُحقق مفاجأةً للأنظمة السياسية العربية، ويكون مُحدداً ومحركاً لتلك الشعوب نحو المطالبة بالتغيير. من أجل ذلك، اعتمدت الورقة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال التحليل التاريخي للوقائع ودراسة وتحليل التقارير والبيانات الإحصائية والبلوجرافيا ذات الارتباط بموضوع البحث ونطاقه المحدد في عنوانه.

الكلمات المفتاحية:

طوفان الأقصى	القضية الفلسطينية	الحراك العربي	الربيع العربي
--------------	-------------------	---------------	---------------

¹ د. أحمد فواز إبراهيم: دكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية. باحث في مركز خالد الحسن للدراسات والأبحاث - المملكة المغربية.

² د. عبد القادر عبد المعطي العزة: أستاذ مساعد في قسم القانون العام والعلوم السياسية في كلية القانون - جامعة النجاح الوطنية. باحث في مركز خالد الحسن للدراسات والأبحاث - المملكة المغربية، تخصص علوم سياسية وقانون دولي.

المقدمة:



تحمل القضية الفلسطينية مركزية أساسية بين قضايا الشعوب العربية. انطلاقاً من ذلك، شكَّلت أحداث السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 (طوفان الأقصى) مفاجأة حقيقية للشعوب العربية، فقد كسرت حاجز

التاريخ الواقعي (الراهن) وما يحمل في طياته من يأس وإحباط عايشته الشعوب العربية على مدار عقود من انكسارات عديدة، مادية كانت من نكبة ونكسة، أو حتى معنوية كازدياد وتيرة التطبيع مع الكيان الصهيوني في الربع الرابع من عقد الربيع العربي.³

شهدت أحداث 2023/10/7 ردة فعل وحشية من الجانب الصهيوني، انصبت على الشعب الفلسطيني. استطاع الاحتلال برده فعله هذه أن يُثبت للجميع مشروعه الإحلالي الاستعماري من إبادة وتهجير للفلسطينيين من جهة، وأن يُكمل فسيفساء صورته السيئة أمام الجماهير العربية من جهة أخرى، فزاد من مشاعر الحقد لديهم، ناهيك عن وضعه الأنظمة العربية بين مآزق التعامل الطبيعي مع الكيان الصهيوني وبين تقلبات التعامل مع الشعوب الناقمة.

على هذا الأساس، يصعب فصل المطالب المحلية التي حملها الربيع العربي عن مطالبه القومية. ذلك أن الحدود السياسية مجرد انفصال وتقطيع سياسي للوطن العربي، ولا تعدو كونها حالة واقعية مؤقتة لا تستطيع أن تُلغي حقيقة الشعور العربي بالوحدة الفعلية، وتفاعله مع القضايا الوطنية خير تفاعل، أكثر حتى من تفاعله مع القضايا القومية. لهذا لا يمكن اختزال القضية الفلسطينية في نفوس الشعوب العربية بدائرة الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وحتى إن جرت محاولات عديدة، فهي تبقى في إطار أشبه بجرعة مخدر، سرعان ما تستفيق من أثرها لدى أول حدث أمني في الأراضي الفلسطينية، نحو ما رأينا في الانتفاضتين الأولى والثانية، والحروب المتوالية على قطاع غزة منذ سنة 2008 إلى سنة 2021، وأخيراً أحداث 2023/10/7.

³ For more information see, Peter Jones, "The Arab Spring: Opportunities and implications," *International Journal*, Sage Publications, vol. 67, no. 2, 2012, pp. 447-463.





إن ما يؤرق الأنظمة العربية ويزعزع استقرارها، ويجعلها تعيش في ريبة من العودة لثورات الربيع العربي، اكتمال الصورة التي كوّنها الاحتلال في ذهنية الشعوب العربية في حربه الأخيرة على الفلسطينيين، إذ يصبح التنبؤ بردة فعل الشعوب بالنسبة لأنظمتها السياسية مسألة شائكة، من ناحية المخاطر التي تهدد

وجودها وشرعيتها، تماماً كما يُعبر جوستاف لوبون Gustave Le Bon بأن الجماهير لا تملك شيئاً مدروساً أو مُتعمداً، فهي تنتقل من حالة النقيض إلى النقيض بسرعة البرق، وفقاً لطبيعة الحدث الذي تعيشه، لتصبح أكثر انفعالية وتقلباً، وغير آبهة لأي عقبة قد تقف أمام تحقيق رغبتها.⁴

أمام هذا الانتقال من حالة النقيض (السكون) إلى حالة النقيض (الغليان) لدى الشعوب العربية؛ تتحدد أهمية البحث بتحليل الوقائع والظواهر الاجتماعية والإنتاج الإنساني المرتبط والمتراكم في أحداث الربيع العربي، وإعادة تكامله في سياق البحث وأسئلته، سعياً لتحقيق أهداف البحث من خلال عملية مطابقة للتصوري والموضوعي صلةً عقلية للملكة المعرفية بين الشعور والانفعال، لتوليد حالة نقدية أكثر وضوحاً.

ولتضمنين صورة أوضح حول هذه الحالة، الانتقال من حالة السكون إلى الغليان، تصبح الإجابة عن السؤال المركزي ضرورة مُلحة: هل سيُشكل طوفان الأقصى فاعلاً للحراك الشعبي العربي ضدّ أنظمتها السياسية؟

تستعين الورقة بافتراض، مفاده أنه إذا كان الربيع العربي بمكوناته الداخلي عبارة عن مجموعة من المؤثرات أو المتغيرات التي هي بالمجمل نُزوعات ظاهرة وباطنية تؤثر على المواطن العربي في حقله الجغرافي مع محيطه السياسي (النظام)؛ فإن هذه المؤثرات تبرز كقوى مُحركة لفعاليات الشعوب، وتوجه سلوكها إلى التغيير أو الثورة. وعليه، فإن وجود حدث مثل طوفان الأقصى، واستمرار المعاناة الفلسطينية من إبادة جماعية وتهجير وغيره، قد يُعزز من مسألة القابلية للاحتجاج، التي من الممكن أن تبلغ حدود الثورة، والمطالبة بإسقاط النظام السياسي؛ فارتفاع منسوب العجز عن تحقيق المطالب المحلية (عيش/

⁴ جوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ترجمة هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، 1999)، ص 64-65.

حرية/كرامة) للشعوب العربية، مع شعور الأخيرة بتواطؤ أو عجز رسمي تجاه المطالب القومية (القضية الفلسطينية) قد يُعزز من هذه المسألة، وتصبح العدوى،⁵ نتيجة تشابك وتكاتف الشعوب العربية كجسد واحد، أكثر قابلية للانتشار داخل الوطن العربي.

اعتمدت الورقة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال التحليل التاريخي للوقائع، ودراسة وتحليل التقارير والبيانات الإحصائية والبلوجرافيا ذات الارتباط بموضوع البحث ونطاقه المحدد في عنوانه. وقد تطلبت معالجة موضوع البحث تقسيمه في محورين أساسيين؛ المحور الأول يعالج رمزية القضية الفلسطينية داخل الربيع العربي، بما هي قضية أساسية مُحركة لفعل الحراك الشعبي، بينما يدور المحور الثاني في فلك اعتبار الشعوب العربية حلّ القضية الفلسطينية مطلباً أساسياً، إلى جانب مطالبهم بالحرية والعدالة في أوطانهم.

أولاً: بصمة القضية الفلسطينية في الربيع العربي (تأثير وتأثر):



بعد أن أحدثت سنة 2011 في الوطن العربي حالة ثورية عارمة، وقَدَمَ سَنَةً استثنائية بأربع ثورات بدأت في تونس (17 كانون الأول/ ديسمبر)، وامتدت للعمق العربي في مصر مع ثورة (25 كانون الثاني/ يناير)، لتنتقل إلى ليبيا

(17 شباط/ فبراير)، واليمن (13 شباط/ فبراير). استطاعت هذه الثورات إسقاط أنظمة استبدادية عربية،⁶ بعد أن كانت الشعوب العربية تظن أن علاقتها بالحكم حتمية تاريخية دائمة. مع مرور عقد ونيف على ذكرى الربيع العربي، نجد أنفسنا أمام أسئلة بديهية قلّمنا نجد لها إجابات: ما هو موقع القضية الفلسطينية بالنسبة لهذا الربيع؟ وهل عبّر من خرجوا ضدّ أنظمتهم الاستبدادية عن وزنها في

⁵ للمزيد حول كيفية انتشار الثورة من قُطر عربي إلى آخر انظر: أحمد فواز إبراهيم وعبد القادر العزة، "دور قيمة الشعور في عملية التحول الديمقراطي: قراءة في مُحددات انتشار الثورة (الربيع العربي "أمودجاً")"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، المجلد 38، العدد 6، 2024.

⁶ عبد الخالق عبد الله، "انعكاسات الربيع العربي على دول مجلس التعاون الخليجي"، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نيسان/ أبريل 2012، ص 2.



نفوسهم؟ وهل تتشابه مطالب الشعب الفلسطيني لتحرر من الاحتلال مع مطالب الشعوب العربية للانعتاق من طوق الاستبداد؟

لا تمثل القضية الفلسطينية في ميزان الشعوب العربية محض حالة تضامن (رد فعل) مع شعب واقع تحت الاحتلال؛⁷ بل هي حالة فعل طبيعي يُعبر عنها بلُحمة تضم مشاعر وأحاسيس دائمة، لا تفصلها حدود سياسية، ولا تنحصر في وقت أو ظرفية حدث مُعين، والأصل أن هذه اللُحمة ضرورة تاريخية تسير نحو الوحدة العربية كظاهرة موجودة، سواء أكان هذا السير عفويًا أم مقصودًا، وإن سارت بحركة بطيئة شابتها عراقيل عديدة.⁸

تجد القضية الفلسطينية نفسها في حالة تلازم لصيق مع الذاكرة الجمعية للشعوب العربية، إذ تتأثر مباشرةً بأي حدث قد يعصف بالعالم العربي، تمامًا كما يتأثر الأخير بأي حدث قد يعصف بها. إن استمرار المعاناة الفلسطينية، مع تصاعد الإخفاقات المتلاحقة للأنظمة السياسية العربية في تعاطيها مع القضية الفلسطينية، كان حافزاً لتفاقم حدة الأزمة بين هذه الأنظمة وبين شعوبها، لتبلغ ذروتها كحالة ثورية انفجرت في وجه أنظمتها السياسية بما يعرف بالربيع العربي.⁹ ولأنها ذات طابع تأثيري وتأثري بين مكونات المجتمع العربي؛ فقد استعار المنتفضون العرب ضدّ أنظمتهم السياسية إبان الربيع العربي شعارات



وهتافات الفلسطينيين ضدّ الاحتلال الصهيوني، وأظهرت تلك الشعارات المعدن الحقيقي لجوهر الذاكرة والمدرّك الجمعي العربي الإسلامي، فالأمة العربية كتلة واحدة لا تفرقها الحدود السياسية المصطنعة.

⁷ As'ad Ghanem, "The Palestinians – lessons from the Arab Spring," Contemporary Arab Affairs journal, Brill Publishers, vol. 6, no. 3, 2013, pp. 422–437.

⁸ محجوب عمر، "التنشئة الاجتماعية والانتماء القومي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 1، العدد 1، 1987، ص 69.

⁹ آفي شلايم وآخرون، الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 342.

عبر المنتفض الفلسطيني عن وعيه بطبيعة العلاقة، غير الرضائية، بين الكيان المحتل وبين النظام السياسي العربي، وأفصح عن عمق قضيته في النفوس العربية، فقد ظهرت خلال الانتفاضة الأولى سنة 1987 شعارات موجّهة للشعوب العربية على شاكلة "يا ابن العرب شوف شوف حُكامك بيرتعدو خوف، من انتفاضة فلسطين كل واحد فيهم مكسوف، هُمّه بيخافو راين، واحنا لجيشه مِتَنطحين"،¹⁰ وصولاً للرفع من مستوى الهتافات في انتفاضة الأقصى "وين العرب وين وين؟ عنهم الله يخزي العين، من مراكش للبحرين أغلقوا هالسفارات واقطعوا هالعلاقات"،¹¹ ما يمس بالأنظمة العربية نفسها، خصوصاً بعد تهافت الأنظمة السياسية العربية على إنشاء قنوات اتصال رسمية مع الكيان الصهيوني بعد حرب الخليج الثانية، ورفع الحظر عن المقاطعة الاقتصادية للكيان الصهيوني.¹²



وهكذا، فقد نادى المحتجون إبان الربيع العربي بمجموعة من المطالب ذات الأبعاد المختلفة، فكانت شعارات مثل "حرية/ عيش/ كرامة" تغطي على ساحات الحراك الشعبي العربي. هذه الشعارات وإن كانت ذات جوهر محلي، إلا أنها تُعبر عن مسار مشترك

لمجموعة من المطالب ذات البُعد القومي، كالصراع الفلسطيني والعربي - الصهيوني،¹³ اخترقت فيها حناجر المحتجين العرب حاجز مقولة "كل مواطن في الدولة القومية يرتبط بعلاقة مباشرة مع السلطة

¹⁰ محمد سليمان، "هتاف قَسَم الاستمرار في الانتفاضة"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد 2، العدد 7، 1991، ص 12-13.

¹¹ خالد منصور، "من أدب الانتفاضة الفلسطينية - هتافات المسيرات والتظاهرات - واحد وعشرون: هتافات وطنية شاملة"، موقع الحوار المتمدن، 20/1/2005، في: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=30177> (اطلع عليه في 2024/9/1)

¹² للمزيد حول هذا الموضوع انظر: محسن عوض وآخرون، "العلاقات العربية - الإسرائيلية"، في العرب ومواجهة إسرائيل احتمالات المستقبل، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 255-271.

¹³ آبي شلايم وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، ص 341.



السيادية للبلد"،¹⁴ وأن الصراع العربي الصهيوني في المقام الأول هو صراع أمة وشعوب مع عدو واضح، قبل أن يكون صراع حكومات وجيوش.¹⁵

لم يغب الاستلهام والاستعارة عن الثورات العربية، ففي تونس مثلاً انطلقت مسيرات تضامنية مع أسطول الحرية (سفينة مافي مرمرة Mavi Marmara) لفك الحصار عن قطاع غزة المحاصر قبيل اشتعال الثورة التونسية بقليل، ونادى المحتجون بشعارات الدعم للمقاومة، ومزجوا بين همومهم المحلية "الحريرات/ أحداث الحوض المنجمي"، وبين قضيتهم القومية، فكانت شعارات "غزة غزة رمز العزة/ يا حُكام يا عار بعثو غزة بالدولار/ المبادئ لا تتجزأ من الرديف حتى غزة/ يسقط نظام السابع فاشي وعميل وتابع"¹⁶ بمجملها تُعبّر أولاً عن "أن نصرة القضايا القومية لا تتم دون تحرير أنفسنا"،¹⁷ وثانياً عن مدى استلهام شعارات الانتفاضات الفلسطينية والتأثر بها.



حسني مبارك

لم يختلف الأمر كذلك في الحالة المصرية، فإلى جانب المبادئ التي أعلنها المحتجون "عيش/ حرية/ عدالة اجتماعية"، ظهرت لافتات وشعارات وصور مختلفة تُعبّر عن استنكارهم لحالة ازدياد التدخل الخارجي في الشؤون المصرية من قبل الولايات المتحدة و"إسرائيل"، كالهتاف الذي رددوه مطولاً "ارفع راسك أنت مصري"، إلى جانب وضع رأس هرم النظام (حسني مبارك) مع لافتات مكتوبة باللغة العبرية تطالبه بالرحيل. سارع المحتجون بعد رحيله

¹⁴ ساري حنفي وآخرون، الثورة والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي: نحو خطة طريق (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012)، ص 757.

¹⁵ عبد الاله بلقزيز وآخرون، العرب ومواجهة إسرائيل احتمالات المستقبل، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 1595.

¹⁶ "مسيرة تضامنية مع غزة"، موقع حزب العمال البديل، 2009/01/21، في:

<https://albadil.org/?%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%AA%D8%B6%D8%A7%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%BA%D8%B2%D9%91%D8%A9> (اطلع عليه في 2024/9/2)

¹⁷ عزمي بشارة، الثورة التونسية الجيدة: بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 195.

مباشرة للدعوة إلى مظاهرات مستمرة لدعم فلسطين، حضر في مظاهرتها الأولى قرابة ثلاثة ملايين مصري، وكانت شعاراتهم "على القدس رايحين شهداء بالملايين/ وحياتكم دم محمد درة هنجيبك يا قدس الحرة" برهاناً صارخاً على تأصل القضية الفلسطينية في نفوس المحتجين،¹⁸ وأن هويتهم واحدة ضدّ عدوٍ مُشترك.

أجرى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات استطلاعاً للرأي في الفترة الواقعة ما بين شهري شباط/ فبراير وتموز/ يوليو 2011 في ذروة غليان الشارع بالاحتجاجات، حيث كشف هذا الاستطلاع عن أن 28% من المستجيبين يشعرون بأن الكيان الصهيوني الأكثر



تهديداً لأنهم الشخصي، تليه الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة 8%، في حين أظهر 35% من المستجيبين أن الكيان الصهيوني الأكثر تهديداً للدول العربية، تليه الولايات المتحدة الأمريكية بواقع 12%.¹⁹

وقد أظهرت نتائج "الباروميتر العربي" في دورتها الثانية، التي نُفِذت في الفترة الواقعة من 9/30- 2012/10/12، أي بعد نحو ثمانية أشهر من اندلاع الثورة التونسية، نتائج مقاربة مع ما أجراه المركز العربي، ففي عينة المستجيبين التونسيين (1,196 عينة)، يرى 17% منهم بأن حلّ القضية الفلسطينية، ووقف التدخل الخارجي يشكل ما نسبته 4% من أهم التحديات التي تواجه العالم العربي. إلى جانب هذا، يوافق 27% منهم على مقولة أن الصراع العربي الإسرائيلي يشكل عائقاً أمام الإصلاح السياسي في تونس، إضافة إلى 66% يوافقون على مقولة "للقضاء على الإرهاب العالمي لا بدّ من حلّ القضية الفلسطينية".²⁰

18 Reem Abou-El-Fadl, "The Road to Jerusalem through Tahrir Square: Anti-Zionism and Palestine in the 2011 Egyptian Revolution," *Journal of Palestine Studies*, vol. 41, no. 2, 2012, p. 13.

19 قام المركز العربي بتنفيذه ميدانياً من خلال إجراء مقابلات وجهاهية مع 16,173 مستجيباً ضمن عينات ممثلة لمجتمعات 12 بلداً عربياً. للمزيد انظر: "مشروع قياس الرأي العام العربي: المؤشر العربي 2011"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آذار/

مارس 2012، ص 28-30، في: <https://arabindex.dohainstitute.org/AR/Documents/AOI-2011-report.pdf>

20 محمد المصري، "تقرير الباروميتر العربي الثاني"، الجامعة الأردنية، 2012، ص 62-65.



ساعد استمرار معضلة القضية الفلسطينية في تقوية الشعور العربي بالنقمة على النظام السياسي القطري. لقد أصبح المواطن العربي بجغرافيته السياسية الضيقة يدرك أن نظاماً يستلب حقوقه بمختلف أبعادها، لن يُحرك ساكناً، قصداً أو عجزاً أو خوفاً، أمام التطلعات القومية للشعوب العربية باستعادة الأرض العربية المسلوقة، فقد عرّى الربيع العربي الموقف الرسمي من استعمال ذرائع الحكمة والتجاوب مع الكيان الصهيوني، وكشف عن كينونة القانون الأزلي (الصراع العربي - الصهيوني)، وأكد أن القضية التي أنتجها الصراع ما زالت مُعلقة دون حلول.²¹

يشير ظهور الإعلام الفلسطينية، ونداءات المحتجين بشعارات عدالة القضية الفلسطينية في خضم الربيع العربي إلى مجموعة من ثوابت الشعوب العربية منها: أولاً أن القضية الفلسطينية هي قضيتهم المركزية التي تجمعهم، وثانياً استمرارية الصراع العربي - الصهيوني على عكس ما أُشير إليه من أقوال بأن الربيع العربي أبان عن زيف مركزية القضية الفلسطينية لدى الشارع العربي،²² وزيف الترويج لتراجع القضية في النفس الجمعية العربية على وسائل التواصل الاجتماعي من قبل أنصار النظام السياسي العربي،²³ وثالثاً سلك المحتجون مساراً ثابتاً ومعاكساً في الآن نفسه لما راحت إليه الأنظمة السياسية العربية في علاقتها مع الكيان الصهيوني بتحول "اللاءات الثلاث/1967" إلى اختزال القضية الفلسطينية بمبادرة "السلام العربية/2002"، وتطبيع للعلاقات بشكل فردي علي.

وفي معرض الحديث عن استنطاق لغة الأرقام والإحصائيات، فإن نتائجها لم تختلف على صعيد القضية الفلسطينية بين تلك التي خرجت بها دراسة ميدانية سنة 1980 (انظر الشكل 1 و 2) عن تلك التي أجراها، أو ما زال يجريها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فمن جملة نتائج الدراسة الأولى أن هنالك "إجماعاً عربياً على أن المشكلة الفلسطينية تتم الأغلبية الساحقة من مبحثينا في الأقطار العشرة على المستوى الشخصي الفردي، وتزيد هذه النسبة إلى ما يقرب 100% في تقدير

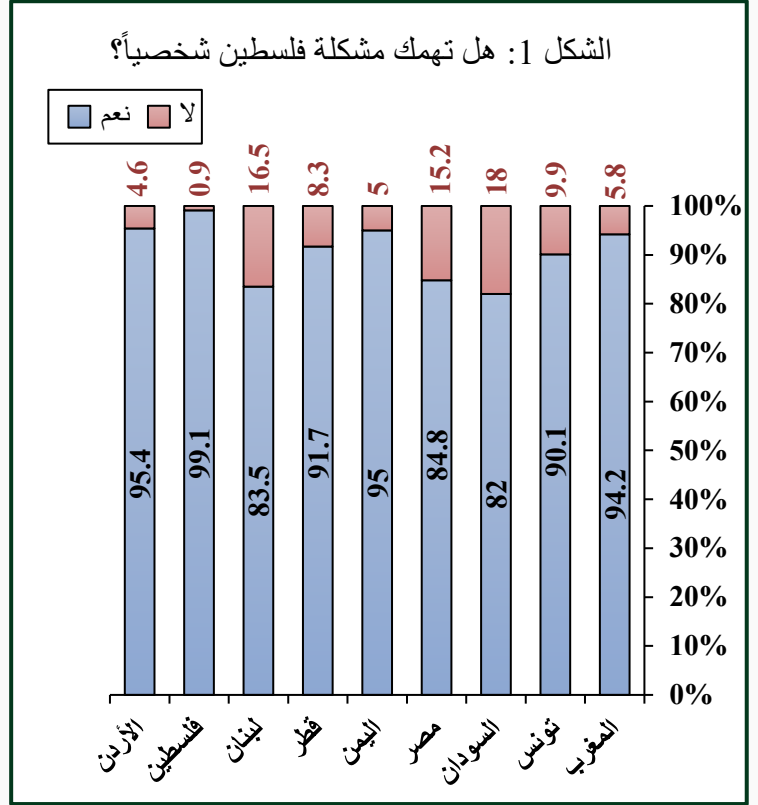
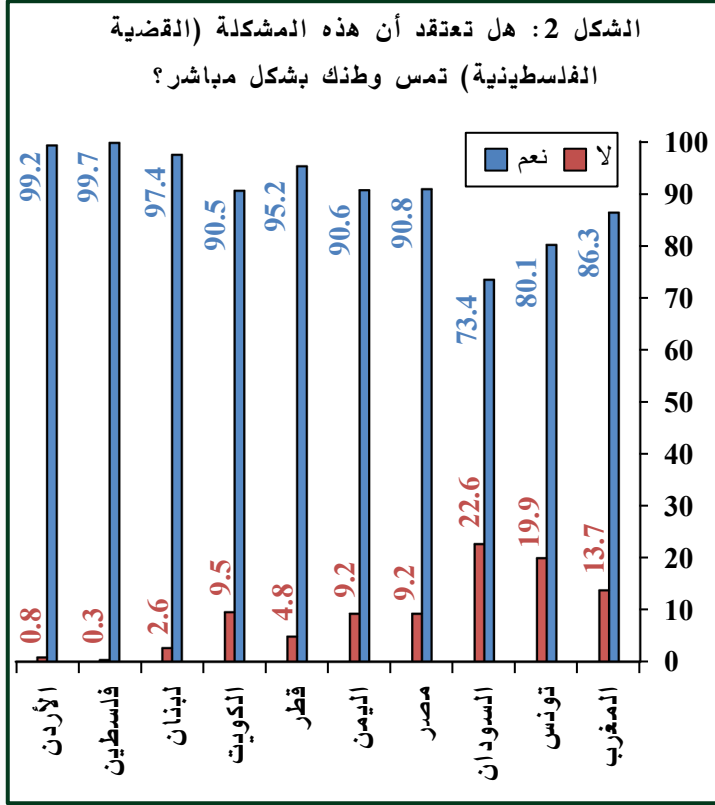
²¹ عبد الاله بلقزيز وآخرون، العرب ومواجهة إسرائيل احتمالات المستقبل، ص 1592-1593.

²² See Josef Joffe, "The Arab Spring and the Palestine Distraction," *Wall Street Journal*, 26/4/2011.

²³ إبراهيم فريجات، "هل ما زالت فلسطين قضية العرب المركزية؟"، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، العدد 281، 2020، ص 26.



المبحوثين بأن المشكلة نفسها تمس أقطارهم بشكل مباشر...، المشكلة الفلسطينية تظل محورية بالنسبة للأفراد وللأقطار العربية على السواء".²⁴

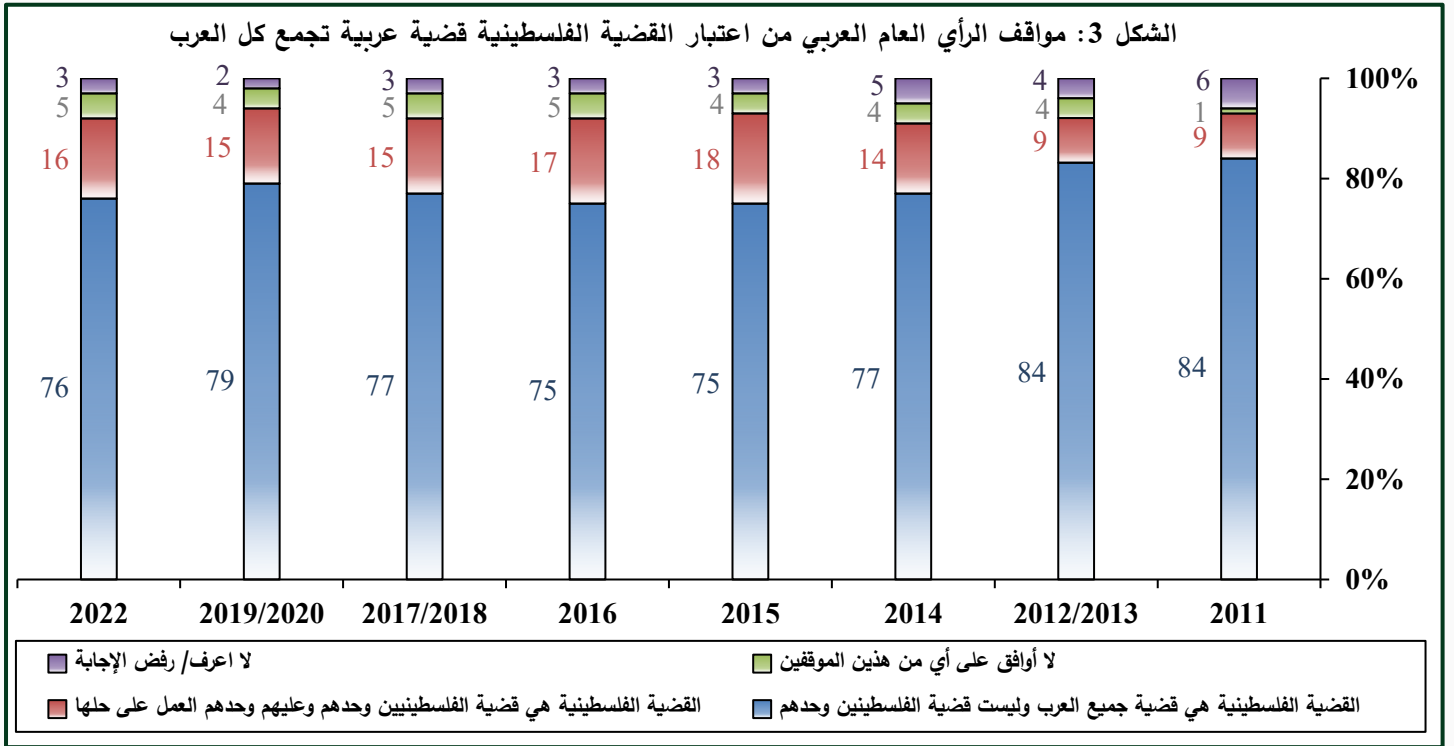


ومنذ بداية مؤشر القياس العربي سنة 2011، الذي يعتمد على المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحتى آخر مشروع قياس سنة 2022؛ فقد بقي المعدل العام العربي ثابتاً تجاه اعتبار القضية الفلسطينية هي قضية جميع العرب (انظر الشكل 3)، وبلغ المؤشر ذروته لسنة 2011 بنسبة 84% ليتراجع في قياسي سنة 2015 و2016 إلى أدنى مستوى له، ليصل إلى 75%، قبل أن يعاود الارتفاع في قياس 2019 إلى 79%، ومن ثم 76 في القياس الأخير لسنة 2022.²⁵

²⁴ سعد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية)، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992)، ص 341.

²⁵ "مشروع قياس الرأي العام العربي: المؤشر العربي 2011"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آذار/ مارس 2012، ص 403-408.





وعليه، تُظهر نتائج الدراستين السابقتين، القديمة والحديثة، لاستطلاعات الرأي في البلدان العربية أن القضية الفلسطينية هي قضية عربية، متجذرة في الذات العربية الإسلامية منذ أزمة ما يعرف بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وحتى زواله. وما تزال هذه القضية حية في النفس العربية حتى يومنا هذا، على الرغم من مرور عقد ونيف على الثورات العربية، وما أحدثته الحروب الأخيرة على قطاع غزة بعد الربيع العربي وحتى ما قبل اندلاع طوفان الأقصى من تعاطف عربي وإسلامي وعالمي، ما هو إلا دليل صارخ على عمق الأمل بتحرير فلسطين على الرغم من ضراوة الثورة المضادة وضراوة قطار التطبيع.

وفي ميزان التأثير بالقضية الفلسطينية والتأثير عليها؛ فإن تجربة الثورات العربية ألهمت الشباب الفلسطيني نحو التغيير والإصلاح في ظل انقسام فلسطيني سياسي جغرافي تحت شعار "الشعب يريد إنهاء الانقسام". أظهر استطلاع للرأي أعده المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية سنة 2011 في الضفة الغربية وقطاع غزة أن 92% يتعاطفون مع المتظاهرين في العالم العربي، والثلاثان من هذه النسبة يتوقعون بأن يكون هنالك تأثير جوهري على القضية الفلسطينية جراء ما يعصف بمحيطهم العربي.²⁶

²⁶ استطلاع الرأي العام رقم (39)، دائرة البحوث المسحية، موقع المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 17-19 آذار/

مارس 2011، في: <https://www.pcpsr.org/ar/node/336>

يُرجَّح الكثير من الباحثين والمتخصصين أن بعض الأسباب الرئيسة لاندلاع الربيع العربي تتمثل بتريدي الأوضاع الاقتصادية، لا سيَّما بعد الأزمة المالية العالمية سنة 2008، إلى جانب تصاعد الحصار وضيق أفق الحريات والحقوق داخل المجتمعات العربية. هذا بالمجمل تفسير واقعي، لكن إلى جانب هذه الأسباب، تجدر الإشارة إلى توالي الأحداث عربياً بدءاً بالانتفاضة الفلسطينية الثانية، مروراً بالغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، واستمرار عمليات تهويد القدس وتفشي الاستيطان بالضفة الغربية، وتقسيم السودان قسمين، وأخيراً "معركة الفرقان/ الرصاص المصبوب 2009/2008" التي شنتها الاحتلال على قطاع غزة قبل اندلاع شرارة الربيع العربي بعام فقط؛ كلها أحداث قد وسَّعت الهوة بين المجتمع العربي وأنظمتها السياسية، وزادت من نغمته على النظام السياسي في تعاطيه مع قضاياها الإقليمية.²⁷

ومن جملة نتائج العدوان على غزة عام 2009/2008، أنها كشفت عن "استمرار حالة العجز العربي



الرسمي تجاه قضية فلسطين، حيث لم ينجح النظام العربي في فكّ الحصار عن غزة، كما لم ينجح في تنفيذ تعهداته بإعادة إعمار القطاع... إلى جانب ذلك، أشارت نتائج العدوان إلى مدى قصور النظام العربي وانقسامه وعجزه عن

الدفاع عن الشعب الفلسطيني، إذ ثمة أنظمة عربية حاكمة قدّمت اعتبارات النفوذ الأمريكي والتزاماتها تجاه "إسرائيل" وخصوماتها مع حماس أو مع "تيارات الإسلام السياسي" على مسؤولياتها تجاه فلسطين، وعلى اعتبارات الأمن القومي العربي، بل إن هناك من سعى عملياً إلى ترك الفلسطينيين وحدهم في مواجهة آلة الاحتلال القاتلة، على أمل أن تموت القضية وينزاح ثقلها عن العرب المتعبين، المنشغلين عن خطر الخارج بأزمات الداخل".²⁸

Asad Taffal, "The impact of the Arab Spring on the Palestinian Question," *Przegląd Strategiczny*²⁷ journal, scientific project financed, Polish National Science, An-Najah National University, Nablus, no: 5 (8), 2014, p. 139.

²⁸ مركز دراسات الوحدة العربية، *حال الأمة العربية 2009-2010: النهضة أو السقوط* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص 193.



لقد شكّل خضوع الأنظمة السياسية العربية لميزان القوى الدولية، وصمتها تجاه الأحداث الإقليمية، وخصوصاً بعد الأحداث التي تعصف بالقضية الفلسطينية على المدى الطويل، رأياً عاماً لدى الجماهير المنتفضة بأن "النظام المشكّلة الكبرى (لا إسرائيل أو الغرب أو الرأسمالية)، وقد كان يعني أن (ضمان الأمان) المؤلف الذي كان وسيلة الأنظمة المحلية للنجاة وسط انتقاد إسرائيل أو موضوعات أكبر قد توقف مفعوله"،²⁹ حيث إنهما قد لا تترك آثاراً سلبية مباشرة؛ ولكنها حققت حُمة حقيقية بين تيارات متنافرة داخل المجتمع صبّت جام غضبها على النظام، ليقترن شعارها الأبرز "الشعب يريد إسقاط النظام" بشعار "الشعب يريد تحرير فلسطين" داخل الميادين العربية، وبشكل لافت في حالة الثورة المصرية لسنة 2011.³⁰



وعلى وقع هذا الشعار الشعبي، بقيت "إسرائيل" في حالة قلق وحيرة من أمرها تجاه المسار الذي ستتخذه الثورات العربية، لا سيّما في دول الطوق (مصر، وسورية، والأردن، ولبنان)، فالمسألة الأساسية الأكثر إثارة للقلق بالنسبة إليهم نظام ديمقراطي عربي بحاضنته المجتمعية التي تدفع محلياً تجاه أن يكون النظام ديمقراطياً، وقومياً في

إعادة النظر في العلاقات العربية - الغربية، والضغط تجاه مسألة الوحدة العربية والعلاقات العربية - العربية، وإيقاف التطبيع، وإعادة الصراع العربي - الصهيوني إلى تاريخ ما قبل هزيمة سنة 1967.

إن القضية الفلسطينية أداة لتحريك القوى الغربية والكيان الصهيوني ذاته؛ لحرف مسار الثورة العربية، نتيجة للخطر الذي سيقع على المصالح الغربية في المنطقة العربية، وبقاء "إسرائيل" لحماية هذه المصالح. هذا ما تترجمه النُخب السياسية والعسكرية الصهيونية، التي تُفضل التعامل مع حالة نظام عربي مُستبد على التعامل مع نظام ديمقراطي عربي؛ كون الأول يُقدم "سلاماً" وأمناً بدون هجمات

²⁹ آفي شلايم وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، ص 162.

³⁰ محسن محمد صالح (محرر)، أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 93.

على الكيان، وكذلك وعوداً بإنهاء حالة الصراع، وهو ما ذهب إليه أغلبية تلك التُّخبة في مؤتمر هرتسلييا Herzliya سنة 2011 بأنه لا يجب أن يكون هنالك موطئ للديموقراطية في العالم العربي.³¹

ثانياً: هدير "طوفان الأقصى" فُرصة لإحياء الربيع العربي:

طُرحت أحداث 2023/10/7 العديد من القضايا على الساحة العربية. من جملتها أنها أعادت الصراع إلى مجراه الحقيقي، وهو عربي - صهيوني، بعد أن كان قد اختزل في صراع فلسطيني - صهيوني



قائم على فُتات من الأرض، وسيادة وهمية على ذلك الفُتات، هذا بالتوازي مع حالة التدافع نحو التطبيع الكامل مع الكيان الصهيوني، كادت أن تصل حلقتَهُ النظام السعودي، الذي لو أن نواصبه اكتملت، لكان المسمار الأخير في نعش المشروع العربي نحو الوحدة والتحرير والتخلص من التبعية.

كشَف طوفان الأقصى عن الحقيقية العقائدية للعقلية الصهيونية، التي ما زالت تؤمن بشعارات "إسرائيل الكبرى" مقابل الاقتناع العربي الرسمي بأن عقلية العدو تريد أن تُقدم تنازلات جوهرية عما تؤمن به وتعمل عليه،³² فقد تخلى النظام السياسي العربي عن حقيقة الخلفية الحضارية للصراع العربي - الصهيوني، وأغرق نفسه في وحل تيار الواقعية السياسية والاعتدال بالمطالب، مقابل

³¹ آبي شلايم وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، ص 348.

³² فالخطاب السياسي العربي "في تحليله للصهاينة أسقط بُعد الإدراك من حسابه، وبالتالي أسقط الخصوصية فسقط في التعميم...، والسمة الأساسية للدولة الصهيونية أنها تَجَمَّع استيطاني إحلالي يوظف الديباجات اليهودية، وأن نقطة انطلاقه هي أن...، يوطن في أرض أجداده أي فلسطين، التي يجب أن تفرغ ممن قد يتصادف وجوده فيها من البشر. وقد ترجمت هذه الصيغة إلى الشعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وهذه هي الركيزة الأساسية للخريطة الإدراكية الصهيونية...". للمزيد انظر: عبد الوهاب المسيري، الإدراك الصهيوني للعرب والحوار المسلح (بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر والتوزيع والتوثيق، 2004)، ص 12-13.



تشبث صهيوني رسمي ومجتمعي بحقيقة الصراع، والتلاعب بنهج الواقعية السياسية، وتقديم تنازلات شكلية فقط لتحقيق أسطورة النبوءة الصهيونية الأساسية.³³

في سياق مُتمم لما سبق، يتبادر للذهن السؤال المركزي الذي يحاول هذا المحور الإجابة عنه: ما مدى تأثير "طوفان الأقصى" على استقرار الأنظمة السياسية العربية؟ علينا أولاً قبل الإجابة عن السؤال وضع الحديثين (ثورات الربيع العربي وطوفان الأقصى) أمام مرآة تحليل المضامين؛ لاستشفاف العلاقة التوافقية بينهما من حيث تشابه العناصر الأساسية التي رافقت كلاً منهما.

1. عنصر المفاجأة:

إن السمة اللصيقة باحتجاجات 2011 عفوية الشرارة والفعل، إذ تحولت فيها الساحات العامة إلى مغناطيس يجذب بُنى المجتمع كافة للمطالبة برحيل النظام أو إجراء إصلاح سياسي حقيقي.³⁴ لقد وجدت الأنظمة السياسية العربية نفسها وبشكل مفاجئ في مواجهة مسألة الاحتجاج والمطالبة بالتغيير، فلم يكن بحسبان هذه الأنظمة أن الاحتجاجات ستصل ذروتها الثورية ليرفع معها الشعب شعار إسقاط النظام، فالثورة في تونس على سبيل المثال، وهي شرارة الاحتجاجات، انتقلت من حالة الكُمون والإحباط إلى الحالة الثورية بشعار إسقاط النظام؛ على الرغم من أنها جوبهت بالقمع المفرط باستخدام الوسائل المميّنة من قبل أجهزة الأمن.³⁵

كان عنصر المفاجأة الحاسم الأساسي الذي أدخل الأنظمة السياسية العربية في نفق الحيرة أولاً، لتنتقل بعدها مطالب الجماهير من اقتصادية وحقوقية إلى مطلب جوهري وجذري وهو إسقاط النظام. إنها حالة إنسانية فطرية أرى فيها المحتجون إبان الربيع العربي البقاء تحت الاستبداد السياسي، ما أراح

³³ بدءاً من خضوع الأنظمة العربية إلى سياسية الأمر الواقع وقبولها مخرجات قرار تقسيم فلسطين 181، مروراً باتفاقيات التطبيع التي بدأت مع مصر كامب ديفيد Camp David Accords، إلى أوسلو Oslo Accord ووادي عربة، إلى الاتفاقيات الإبراهيمية Abraham Accords. للمزيد انظر: مصباح الشيباني، "الأنظمة العربية والقضية الفلسطينية: من ثورة 1936 إلى معركة "طوفان الأقصى"، "مجلة المستقبل العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 547، 2024، ص 61-62.

³⁴ عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 558.

³⁵ عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة: بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، ص 21.



الستار عن النفسية العربية التي تتوق للحرية والديموقراطية. على هذا النحو، فإن عنصر المفاجأة في أحداث 2023/10/7 "طوفان الأقصى" قد أدخل الكيان الصهيوني في نفق الحيرة، ليرافق عنصر مفاجأة الحدث إزاحة الستار عن حالة اليأس والإحباط التي لازمت الشعب الفلسطيني بشكل خاص، والأمة العربية الإسلامية عامةً سنوات عديدة من ركود في القضية الفلسطينية،³⁶ وأيضاً نقلت المقاومة الشعوب العربية من دائرة الصمود والثبات على الأرض إلى حالة الهجوم ومحاوله استعادة الأرض، متمسكة بشعار تحرير الأرض العربية الفلسطينية.

هذا ما تؤيده إحصائيات ارتفاع منسوب القائلين بأن القضية الفلسطينية هي قضية جميع العرب وليس الفلسطينيين وحدهم من 76% لسنة 2022 (انظر الشكل 3)، إلى 92% بعد أحداث 2023/10/7، وكذلك فقد سُجِّل ارتفاع ملحوظ في منسوب القياس سنة 2022 للسؤال نفسه عنه في قياس بعد أحداث الطوفان في مجتمعات وقَّعت أنظمتها السياسية اتفاقيات تطبيع مع الكيان الصهيوني، مثل السودان التي ارتفعت من 68% إلى 91%، أو حتى مجتمعات أعلنت أنها بصدد التوقيع مثل السعودية التي ارتفعت نسبتها من 69% إلى 95%.³⁷

2. قلب التوازنات:

لا شكّ في أنّ الربيع العربي قد صُنِّفَ أنه الحدث التاريخي الأبرز الذي عايشه الوطن العربي منذ فترة الاستقلال القطري للدول العربية في أربعينيات القرن الماضي؛ ذلك أنه قلب الموازين كافة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ضمن بيئته السياسية. هكذا فإن حدثاً مثل "طوفان الأقصى" قد أحدث تغييراً حاداً في التوازنات الإقليمية كافة، وأعاد القضية الفلسطينية إلى معادلة المواجهة من جديد، بعدما حاولت "إسرائيل" تحقيق مشروع جيوسياسي وثقافي في المنطقة العربية بالقيام بدور القوة الإقليمية الحامية والوحيدة في المنطقة، بحيث يكون المشروع قائماً على تعاون رسمي إسرائيلي - عربي لصد ما يعرف

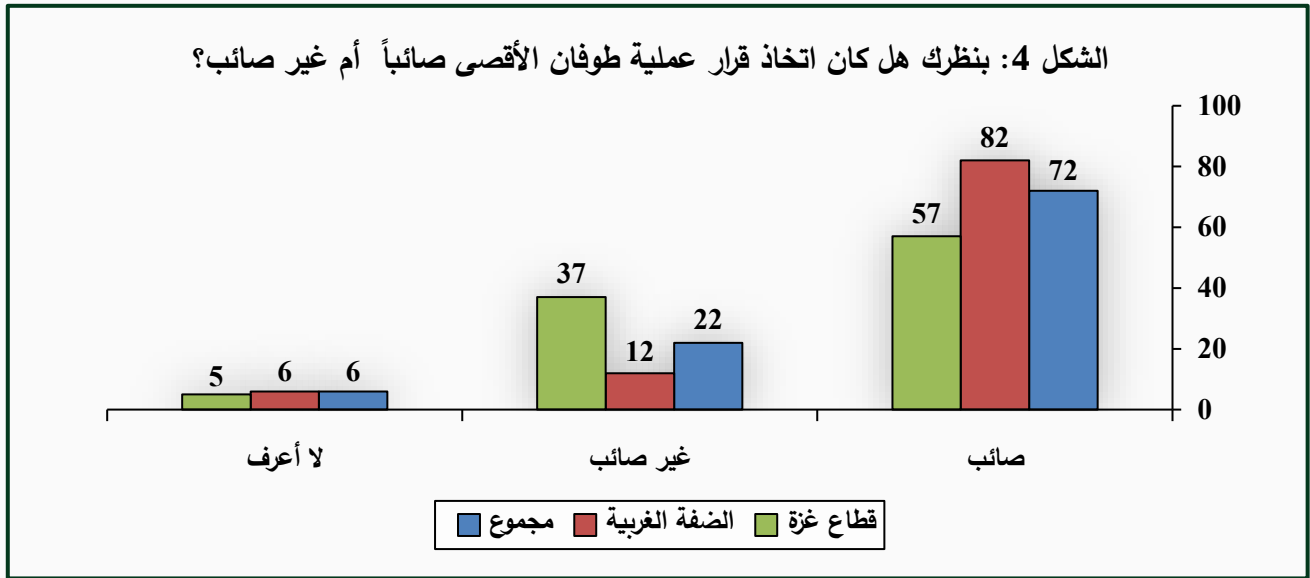
³⁶ معن بشور، "ملحمة طوفان الأقصى حقائق ومهمات"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 545، 2024، ص 7.

³⁷ "اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة"، برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/يناير 2024، ص 23، في:



بالخطر الإيراني على المنطقة،³⁸ أصيب معه الفلسطينيون والمقاومة بالتحديد بما هو أشبه بانعدام الثقة في النظام الرسمي العربي، وبالمنظومة الدولية لاستعادة حقوقهم، ما أبرز المقاومة المسلحة خياراً لتعطيل محاولات تصفية القضية الفلسطينية.³⁹

يَتَّجِه الرأي العام العربي نحو التشابه في التأييد، سواء للثورات العربية (وخصوصاً تونس ومصر) أم عملية طوفان الأقصى. فوفقاً لمؤشر تأييد الثورة التونسية والمصرية لسنة 2011 في مشروع قياس الرأي العام العربي، 71% من المستجيبين قد أيدوا الإطاحة بنظام زين العابدين بن علي، في حين أن 80% منهم أيدوا الإطاحة بنظام حسني مبارك.⁴⁰ هكذا فإن 72% من الجمهور الفلسطيني (انظر الشكل 4) يعتقدون بأن قرار عملية "طوفان الأقصى" كان صحيحاً حسب استطلاع الرأي الذي أعده المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.⁴¹



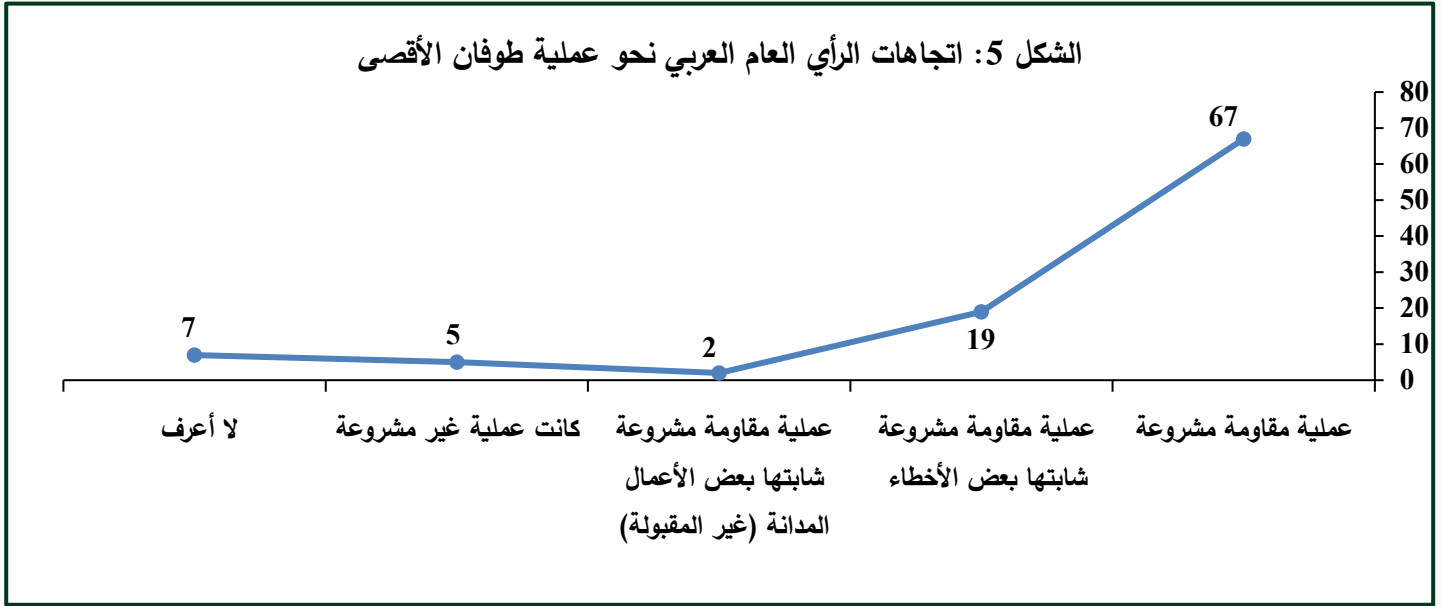
³⁸ سليمان بشارت، اتفاقات أبراهام وتشكل الجغرافيا السياسية لإسرائيل بمنطقة الخليج العربي، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، 2022/2/5، في: <https://democraticac.de/?p=80246> (اطلع عليه في 2024/9/5)

³⁹ فراس عباس مجيد، "طوفان الأقصى وديناميات التحول في معادلة التوازن الاستراتيجي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 544، 2024، ص 7.

⁴⁰ "مشروع قياس الرأي العام العربي: المؤشر العربي 2011"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آذار/ مارس 2012، ص 19 و24.

⁴¹ استطلاع الرأي العام رقم (90)، دائرة البحوث المسحية، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 22 تشرين الثاني/ نوفمبر - 2 كانون الأول/ ديسمبر 2023، ص 2، في: <https://www.pcpsr.org/ar/node/964>

فيما يرى 88% من الجمهور العربي⁴² في المقياس الذي أعده المركز العربي بعد عملية طوفان الأقصى في أحداث 2023/10/7 عملية مقاومة مشروعة⁴³ (انظر الشكل 5).



3. في كسر الحاجز والعقيدة الأمنية:

أوجدت الأنظمة العربية طفرة الخوف العربي المشترك داخل مجتمعاتها.⁴⁴ أصبحت فلسفة الحُكم قائمة على التهيب والترويع بممارسة القهر، والتعذيب لإنتاج حالة خوف لدى العقل الجمعي العربي، وتهدف إلى كسر الإرادة، والإخضاع النفسي للمواطنين بترسيخ القناعة لديهم بانعدام الحلول وجدوى التصدي لجبروت السلطة،⁴⁵ فصار النظام العربي يكتسب شرعيته من سطوة جهازه الأمني وعمره.⁴⁶

⁴² من الجيد هنا الحديث عن رأي الجمهور الفلسطيني بين استطلاع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات وبين المركز الفلسطيني للأبحاث السياسية والمسحية، إذ تبين نتائج كلا المركزين مصداقية المؤشر، نتيجة شبه التطابق بين نتيجة المركز الأول 79% (الضفة الغربية) و82% في نتائج المركز الثاني.

⁴³ "اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة"، برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/يناير 2024، ص 11.

⁴⁴ أحمد فواز إبراهيم وعبد القادر العزة، "دور قيمة الشعور في عملية التحول الديمقراطي: قراءة في مُحددات انتشار الثورة (الربيع العربي "أغموذجاً")"، ص 1171-1172.

⁴⁵ محمد صالح المسفر وآخرون، ثقافة الخوف (عمّان: منشورات جامعة فيلادلفيا، 2007)، ص 185.

⁴⁶ الطاهر لبيب، "من الخوف إلى التخويف: مساهمة في تعريف ثقافة الخوف"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 29، العدد 330، 2006، ص 21.



عَبَرَ المحتجون حاجز الخوف المصطنع، واستطاعوا كسره سنة 2011، لتكون أول محطة لعبورهم هذا يقيُنُ الشعوب العربية بأنها لا يمكن أن تعود مقيدة تحت سطوة العقيدة الأمنية للنظام السياسي العربي، سواء أُنجحت الثورات أم فشلت. نقطة كسر الحاجز هذه قد جاءت تحت ظروف غير عادية، تمثلت أولاً بحالة استقرار نسبي عايشتها الأنظمة السياسية قبيل الربيع العربي، وثانياً بحفاظ الأنظمة العربية على تمويل جهاز الأمن والجيش، حتى وإن كانت تعيش أزمة مالية،⁴⁷ وثالثاً تراكم الاتهام بمرض اليأس والجمود والقنوط، وفقدان الأمل من احتجاج الشعوب العربية والتأثير على أنظمتها السياسية إصلاحاً أو تغييراً.⁴⁸



إنَّ عبور نقطة حاجز الخوف إثر الربيع العربي قد واكبه اختراق مماثل للمقاتل الفلسطيني في 2023/10/7 لمعتقدات "الجدار الحديدي"، وتعقيدات الجدار الأمني، الذي يفصل قطاع غزة عن الأراضي المحتلة، معلناً بذلك كسر نقطة وهم العقيدة الأمنية للكيان الصهيوني

وتفوقها،⁴⁹ ما كشف عن نقطة ضعف الجدار التي تحدث عنها جابتونسكي Jabotinsky سنة 1923 ومفادها أنه "طالما بقي لدى العرب بصيص من الأمل بالتخلص منّا فلن يقاوضوا أملهم هذا"،⁵⁰

⁴⁷ عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة، ص 512.

⁴⁸ عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة: بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، ص 191.

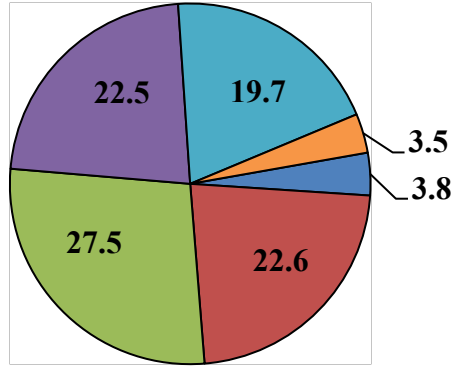
⁴⁹ أعلن محمد الضيف في 2023/10/7 بدء عملية طوفان الأقصى، واقتحم المقاتل الفلسطيني مستعمرات غلاف غزة تزامناً مع إعلان انطلاقة هذه العملية. للمزيد انظر: محسن محمد صالح وآخرون، يوميات معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 - 31 آذار/ مارس 2024 (الجزء الأول) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024)، ص 9-10.

⁵⁰ نبيه بشير، "قراءة جديدة لعقيدة الجدار الحديدي: مرفق نص: النظرية الأخلاقية للجدار الحديدي"، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، العدد 69، 2018، ص 43.

وأخذت عقيدة الكيان الصهيوني الأمنية والاستخباراتية والعسكرية تتهاوى أمام مجموعات مقاتلة بأسلحة وتكتيكات بسيطة.⁵¹

ظلت الشعوب العربية متمسكة بأمل تحرير فلسطين ورفض التطبيع على الرغم من اتساع الهوة بين ما تريده وبين ما يسعى إليه النظام السياسي القطري، فلولا تمسك الحاضنة الشعبية عربياً وفلسطينياً بهذا الأمل في قرارة نفسها، لما كان 2023/10/7، وما كان الجدار الحديدي ليُخترق. على سبيل المثال؛ تشير إحصائيات سنة 1980 إلى أن 3.8% فقط أشاروا إلى السعي لتسوية سلمية كاستراتيجية عربية لحل المعضلة الفلسطينية، ويؤمن 42.1% بمشروعية القوة العسكرية لاسترداد الأرض⁵² (انظر الشكل 6).

الشكل 6: رأي المبحوثين في الاستراتيجية المثلى لمواجهة "إسرائيل"



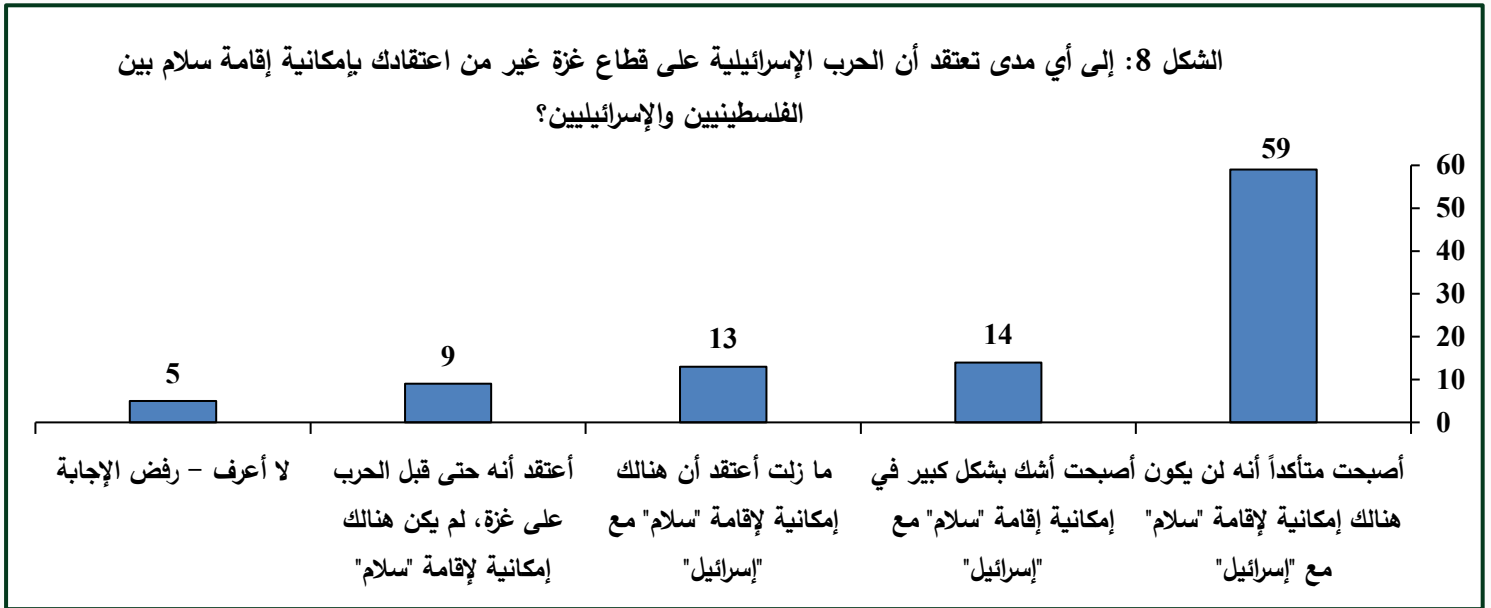
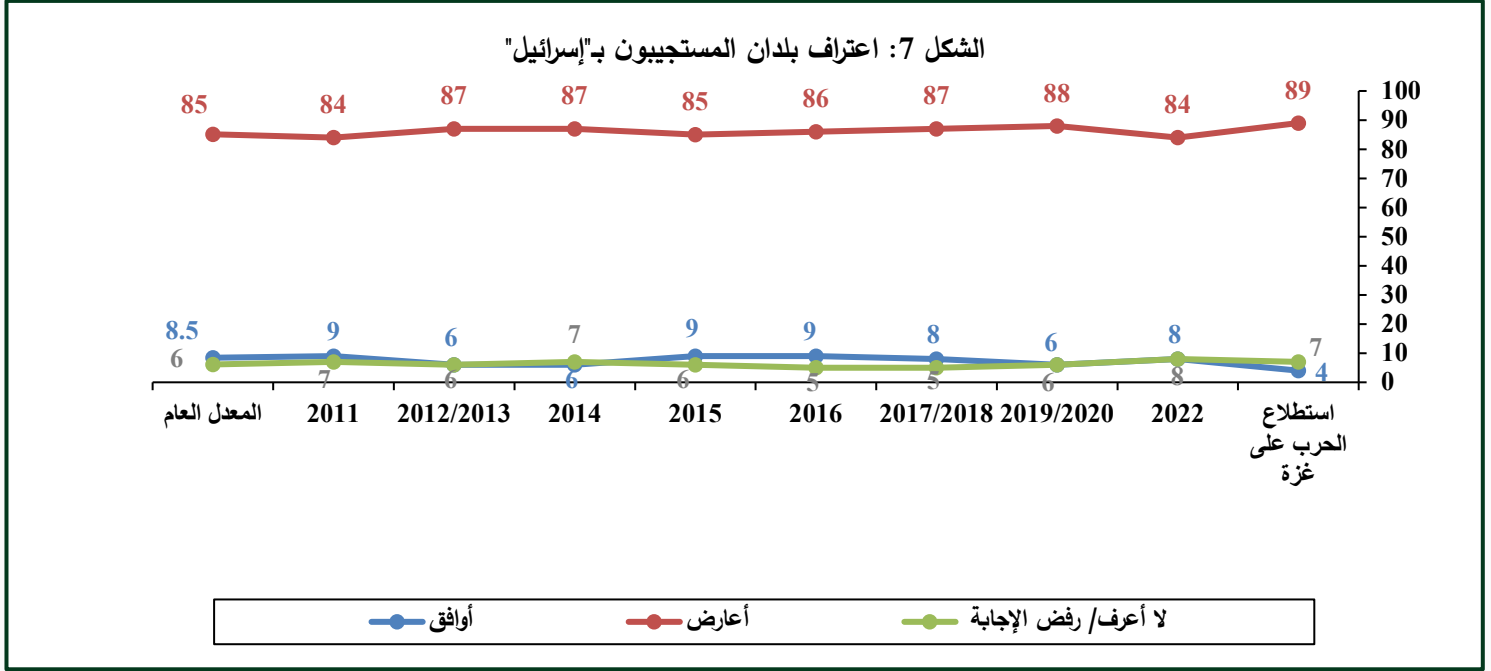
- أن تسعى الأقطار العربية إلى تسوية سلمية مع "إسرائيل" بأي شروط
- أن تسعى الأقطار العربية إلى تسوية سلمية على أساس القرار 242 الذي يقضي باسترجاع الأراضي العربية المحتلة بعد 1967 مقابل الاعتراف بـ"إسرائيل"
- أن تسعى الأقطار العربية إلى تسوية سلمية لاسترجاع الأراضي المحتلة بعد 1967 وإنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة
- أن تواصل الأقطار العربية استعدادها لهزيمة "إسرائيل" وإيجاد دولة علمانية ديمقراطية يعيش فيها العرب واليهود على أرض فلسطين
- أن تواصل الأقطار العربية الاستعداد لهزيمة "إسرائيل" وتصفية الوجود الصهيوني تماماً
- استراتيجيات أخرى

⁵¹ فارس أبي صعب، "طوفان الأقصى وما بعدها نحو حركة عالمية لتحرير فلسطين"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 540، 2023، ص 10.

⁵² سعد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية)، ص 327.



أما الإحصائيات الحديثة⁵³ فإنها تشير إلى معدل عام عالٍ لرفض التطبيع مع الكيان الصهيوني بنسبة 85.3% (انظر الشكل 7). إلى جانب ذلك، أشار 82% منهم إلى أنهم لا يؤمنون بإقامة "سلام" مع الكيان الصهيوني (انظر الشكل 8)؛ لهذا تؤكد الإحصائيات، قديماً وحديثاً، على أن نفحات الأمل موجودة ما قبل ولادة عملية "طوفان الأقصى"، وأن 2023/10/7 قد كشفَ عن تمسك الأمة بالأمل وتحرير الأرض العربية الفلسطينية.



⁵³ "اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة"، برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/يناير 2024، ص 15، وص 28.

على هذا المنوال من الفهم فإن عنصر المفاجأة وقلب التوازنات، بالإضافة إلى كسر الحاجز والعقيدة الأمنية؛ كلها من عناصر العلاقة التداخلية والتوافقية بين عملية "طوفان الأقصى" وبين "الربيع العربي". أظهرت الثورات العربية ما كان موجوداً وما وجب إثباته، وهو أن العالم العربي لم يختفِ أبداً.⁵⁴ وبعد أن بينا أسس هذه العلاقة، سنعود لمحاولة الإجابة على السؤال المركزي لهذا المحور وهو مدى تأثير "طوفان الأقصى" على استقرار الأنظمة السياسية العربية؟

4. في العلاقة التوافقية: تناغم عربي مُتجدد:

سبقت حالة الحراك العربي مع عملية "طوفان الأقصى" حالة وعي عامة، لم تتشكل إثر الحدث الأخير فقط؛ إنما هي نتاج تراكم تاريخي مُتشكل في الذات العربية منذ قرون عديدة لا يمكن تجاهله أو نكرانه، حتى وإن سعى النظام السياسي القطري، بقصد أو بدون قصد، إلى طمس البُعد العربي عن القضية الفلسطينية بتهميش الحق الفلسطيني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً،⁵⁵ تبقى النفس العربية الواعية



واللا واعية تحمل تجذرات مختلفة تجذبها للقضية الفلسطينية "مهما تسَلَّت هذه الأنظمة بعقول المغفلين، وتفنتت في قمع شعوبها، واستسلمت أمام جبروت العدو الصهيوني المتوحش وحلفائه الغربيين الذين يدعون التنوير والحداثة والدفاع عن حقوق الإنسان وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها".⁵⁶

⁵⁴ حسبما صرّح إيلي فودة Elie Podeh سنة 2011 في صحيفة هآرتس Haaretz. للمزيد انظر: حلمي موسى، نصوص من الصحافة الإسرائيلية: حيرة إسرائيل أمام الثورات الشعبية العربية وآفاق تغيير الواقع الاستراتيجي في المنطقة، صحيفة السفير، بيروت العدد 11825، 2011، ص 11.

⁵⁵ فراس عباس مجيد، "طوفان الأقصى وديناميات التحول في معادلة التوازن الاستراتيجي"، مجلة المستقبل العربي، ص 12-13.

⁵⁶ مصباح الشيباني، "الأنظمة العربية والقضية الفلسطينية: من ثورة 1936 إلى معركة 'طوفان الأقصى'"، مجلة المستقبل العربي، ص 783.



إن ما يزيد من نِعمة المحتجين في حالة الحراك العربي مثلاً على ما يجري في فلسطين، ليس فقط تعبيراً عن عجز النظام أو تخليه عنوة أو حتى حياده عن تقديم رد فعل يُناسب حالة غضب الشعوب،⁵⁷ أو حتى شعورهم



بالضغط النفسي الهائل نتيجة الإبادة الجماعية وهول المجازر، حتى اللحظة، التي يمارسها الكيان الصهيوني في قطاع غزة منذ أكثر من عام؛ بل إن ما يُغذي حالة الحراك أيضاً هو تفشي المشاكل الحياتية العامة؛ كالبطالة، والفساد، وغلاء الأسعار الفاحش، وضعف تقديم الخدمات الحكومية، والإفراط في الاعتماد على

المعونات الخارجية، بالإضافة إلى ازدياد شعور المواطن بالانفصال عن حاكمه. كُلها عوامل قد تُحوّل الحراك المندد بالعدوان الصهيوني على غزة إلى مظاهرات بمطالب محلية وقومية قد تُزعزع استقرار النظام السياسي.

ففي الحالة المصرية مثلاً، وعلى الرغم من كل الدعوات العفوية وغير العفوية للفعل الاحتجاجي، المعبر عن سخط المواطنين على النظام السياسي، قبل عملية طوفان الأقصى، وبعد الانقلاب العسكري على الرئيس محمد مرسي، إلا أنها باءت أغلبها بالفشل؛ نتيجة السطوة الأمنية المصرية، واستمرار نهج الاعتقالات التعسفية والمحاکمات الجوية بحق المواطنين، في ظلّ موجة استياء بين المواطنين نتيجة الارتفاع الهائل في أسعار السلع الأساسية، ورفع الدعم الحكومي عن القمح، والاستمرار في سياسية قطع الكهرباء عن المحافظات والمدن المصرية.⁵⁸ لكنّ حدثاً مثل 2023/10/7، مكّن المواطنين من تحويل مظاهرة خرجت تضامناً مع فلسطين في 2023/10/20 من شعار "فلسطين حرة" إلى المطالبة بـ"رغيف الخبز"، وإلى شعارات مناهضة للنظام السياسي المصري،⁵⁹ تنادي بشعارات ثورة 2011/1/25، نحو: "إحنا شباب خمسة وعشرين مش هنسيبك يا فلسطين/ حي صوت الثورة/ دي مظاهرة بجد مش

⁵⁷ محمد عبد الحفيظ الشيخ، "القضية الفلسطينية أمام تحديات الانقسام والتطبيع ونتائج معركة "طوفان الأقصى"، "مجلة دراسات

شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان - الأردن، السنة 28، العدد 107، 2024، ص 51-52.

⁵⁸ مصر: اعتقال أكثر من 100 شخص تعسفاً بسبب دعوات للمشاركة في احتجاجات مناهضة للحكومة، موقع منظمة

العفو الدولية، 2024/7/18، في: <https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2024/07/egypt-more-than-100->

arbitrarily-detained-over-calls-for-anti-government-protests (اطلع عليه في 2024/9/7)

⁵⁹ "Egypt's Gaza Dilemmas," site of International Crisis Group, Middle East and North Africa Briefing N°91, 16/5/2024, p. 14, https://www.crisisgroup.org/sites/default/files/2024-05/b091-egypt-gaza-dilemmas_1.pdf

تفويض لحد"،⁶⁰ وذلك على الرغم من التطويق الأمني للميادين العامة، خصوصاً ميدان التحرير، حيث اضطرت الأجهزة الأمنية فيه إلى فضّ المظاهرة واعتقال بعض المتظاهرين⁶¹ تحت بند القانون رقم 107 لسنة 2013 الذي يعرقل الحق في التجمع والتظاهر السلمي.⁶²

إنّ ما يخشاه النظام السياسي المصري هو عدم السيطرة على الحالة الشعبية المفعمة بالغضب والضغط النفسي، سواء أكان السبب تردي الأحوال الاقتصادية واختناق حالة الحقوق السياسية، أم نتيجة الحرب الجارية في فلسطين، الأمر الذي قد ينذر بتفاقم المشاعر وتوحيدها، بين ما هو مطلب محلي (حرية/ عيش/ عدالة اجتماعية) وما هو مطلب قومي (القضية الفلسطينية)، ما قد يدفع المواطنين أكثر نحو الفعل الاحتجاجي والعودة إلى نقطة ثورة 2011/1/25⁶³ عند هذه النقطة بالتحديد، فإن قمع الأجهزة الأمنية وحده ليس رهاناً آمناً للسلطة السياسية؛ لأن هيجان الجماهير وغضبها لن توقفه عقبة أمنية،⁶⁴ ويمكن أن يوحد الميدان الاتجاهات والمشاعر مرةً أخرى، ويكسر حاجز الخوف كما علمتنا تجربة الجمهور المنتفض إبان الربيع العربي.

⁶⁰ نجلاء مكاوي، "مصر وغزة: ما قبل السابع من تشرين الأول/ أكتوبر وبعده"، سلسلة تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/1/11، ص 17-18، في:

<https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/egypt-and-gaza-before-and-after-october-7th.pdf>

As the Gaza war rages, Egypt fears for its stability, site of The Economist, 29/10/2023,⁶¹ <https://www.economist.com/middle-east-and-africa/2023/10/29/as-the-gaza-war-rages-egypt-fears-for-its-stability> (accessed on 8/9/2024)

⁶² وحدة الرصد والتوثيق، "إسكات المصريين في الجمهورية الجديدة.. التقرير السنوي عن حالة حرية التعبير في مصر 2023"، موقع مؤسسة حرية الفكر والتعبير، 2024/5/26، في:

<https://afteegypt.org/research/2024/05/26/37391-afteegypt.html> (اطلع عليه في 2024/9/7)

⁶³ محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024)، ص 345-346.

⁶⁴ خلال 18 يوماً من الاحتجاجات في ثورة 25 كانون الثاني/ يناير حتى سقوط رأس النظام فإن "أكثر من 840 شخصاً لقوا حتفهم على امتداد مصر خلال الخمسة عشر يوماً، وأصيب 6,400 شخص بالرصاص الحي ومن قبل القناصة وسيارات كانت تصدم الناس، ومن طريق الضرب". للمزيد انظر: بيلجين آياتا وسيليا هاردرز، "لحظات الميدان: مفهمة الحيز والوجدان والمشاركة السياسية في الميادين المحتلة"، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 59-60، 2023، ص 25.



لا يختلف أمر حالة النظام الأردني عن حالة النظام المصري. وتصف الباحثة الإسرائيلية أوريت



بيرلوف Orit Perlov، في معهد دراسات الأمن القومي The

،Institute for National Security Studies (INSS)

تضخم الاحتجاجات الأردنية التضامنية مع قطاع غزة واستمرارها

بالرياح "الشريرة القادمة من الشرق"، وتحشى الباحثة على المدى البعيد من تأثير هذه الاحتجاجات على استقرار النظام السياسي الأردني أولاً، ومن تداعياتها الوخيمة المحتملة على أمن "إسرائيل" ثانياً؛ ما يثبّت على القيادة الإسرائيلية زيادة المساعدات الإنسانية المقدمة إلى غزة عبر الحكومة الأردنية؛ للتخفيف من حدة الضغوط الشعبية.⁶⁵

يفسر هذا أيضاً أنّ الكيان الصهيوني على الرغم من اقتناصه العديد من الفرص عربياً لتحقيق ضمان أمنه منذ ما قبل اتفاقية رودس سنة 1948 حتى ما قبل 2023/10/7، وعلى الرغم من اقتناصه لهذه الفرص رسمياً من النخب الحاكمة العربية نتيجة الانتصارات العسكرية الحاسمة له، أو حتى دعم الدول العظمى لهذا المشروع الإحلالي، إلا أن الكيان يُدرك "أنّ هذا الاعتراف السياسي المكتوب غير قابل للتسويق في وجدان الشعب العربي، ولا يملك أن ينتزع لها اعترافاً ثقافياً ونفسياً من الناس ومن أجيال جديدة قد تحمل معها المفاجآت، إنّها لا تخاف كثيراً من الحاضر العربي، بل تخاف من الماضي العربي، من الذاكرة والرموز، ومن إمكانية استثمار ذلك المخزون في المستقبل".⁶⁶

تقع الشعوب العربية اليوم، بعد مرور أكثر من عام على الإبادة الجماعية على قطاع غزة، بين خطّي هرولة النظام السياسي للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وتضييقه لحرية التعبير عما تحمله من مشاعر تجاه القضية الفلسطينية، وبين ما تعيشه من هُموم فُطرية. بين هذين الخطّين، ثمة نقطة فاصلة قد تنتقل فيها الشعوب من عفوية مقاطعة المنتجات الصهيونية والغربية نتيجة الشعور بالعجز عن تقديم شيء يغيّر من

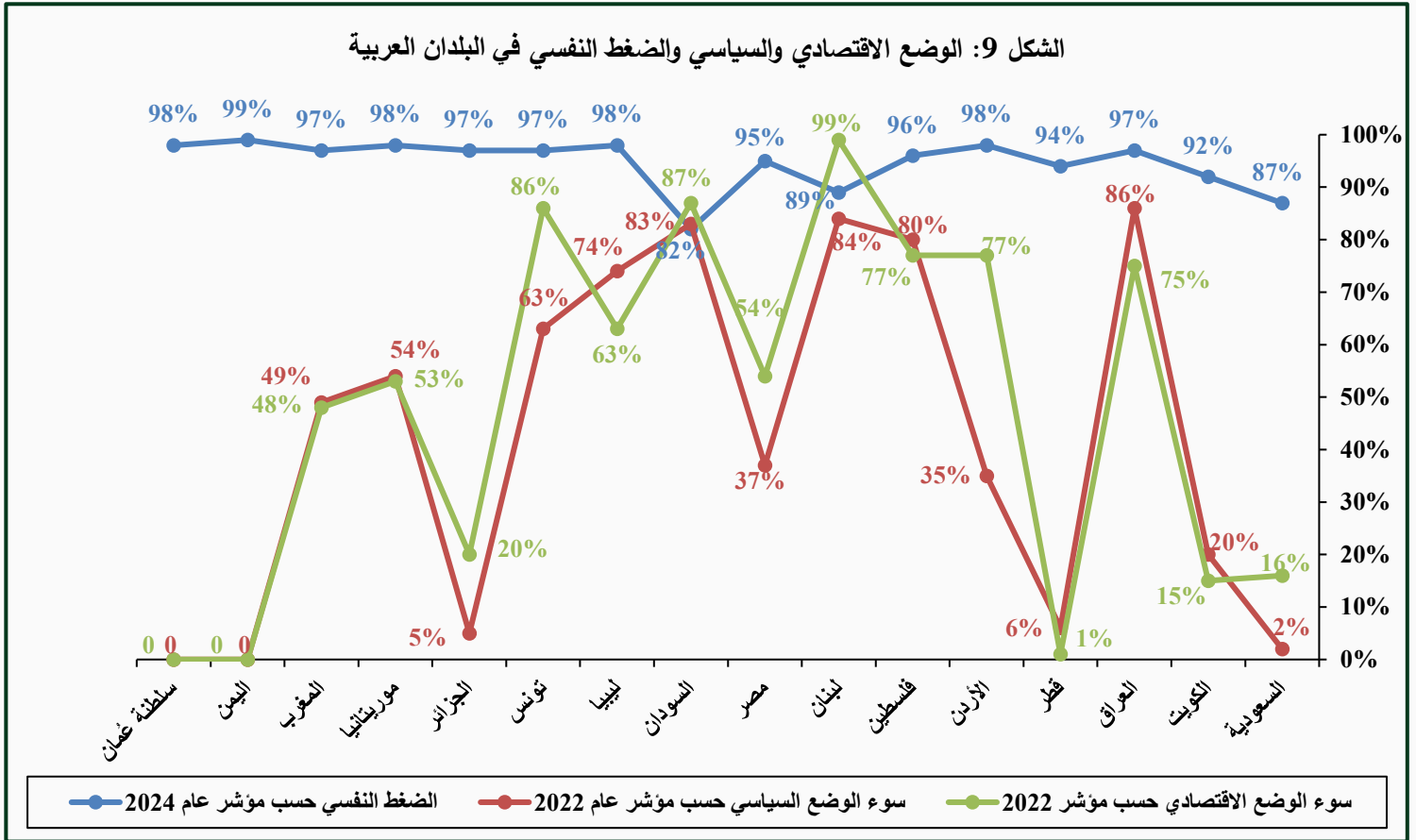
Orit Perlov, An Evil Wind from the East?, The Institute for National Security Studies, 15/4/2024, ⁶⁵ <https://www.inss.org.il/publication/will-from-the-east-will-open-evil/> (accessed on 8/9/2024)

⁶⁶ عبد الإله بلقزيز وآخرون، العرب ومواجهة إسرائيل احتمالات المستقبل، ص 1598.



الواقع المأساوي في فلسطين، إلى حالة أخرى من الفعل المقصود، لن يكون فيه النظام السياسي سوى هدفٍ لن تهدأ سهام الجماهير إلا بإصابته.

يشير المعدل العام للتقييم الاقتصادي في البلدان العربية إلى أن 54% يرونه ما بين سيء إلى سيء جداً، و49% يرون بأن الوضع السياسي يقع في خانة الوضع الاقتصادي ذاتها؛ وذلك على حساب مؤشر سنة 2022 من المركز نفسه.⁶⁷ يوازي شعور المواطنين العرب بضغط الوضع الاقتصادي والسياسي العربي، ضغطٌ نفسي عالٍ جراء الحرب الأخيرة على غزة، إذ أجاب 97% بأنهم يشعرون بالضغط بدرجات متفاوتة، 84% منهم يشعر بضغط نفسي عالٍ، وذلك على حساب المؤشر الخاص بالحرب على غزة الذي أعده المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لسنة 2024⁶⁸ (انظر الشكل 9).



⁶⁷ "المؤشر العربي 2022"، برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الأول/ ديسمبر 2022،

ص 36-40، في: <https://arabindex.dohainstitute.org/AR/Documents/AOI-2022-Full-report.pdf>

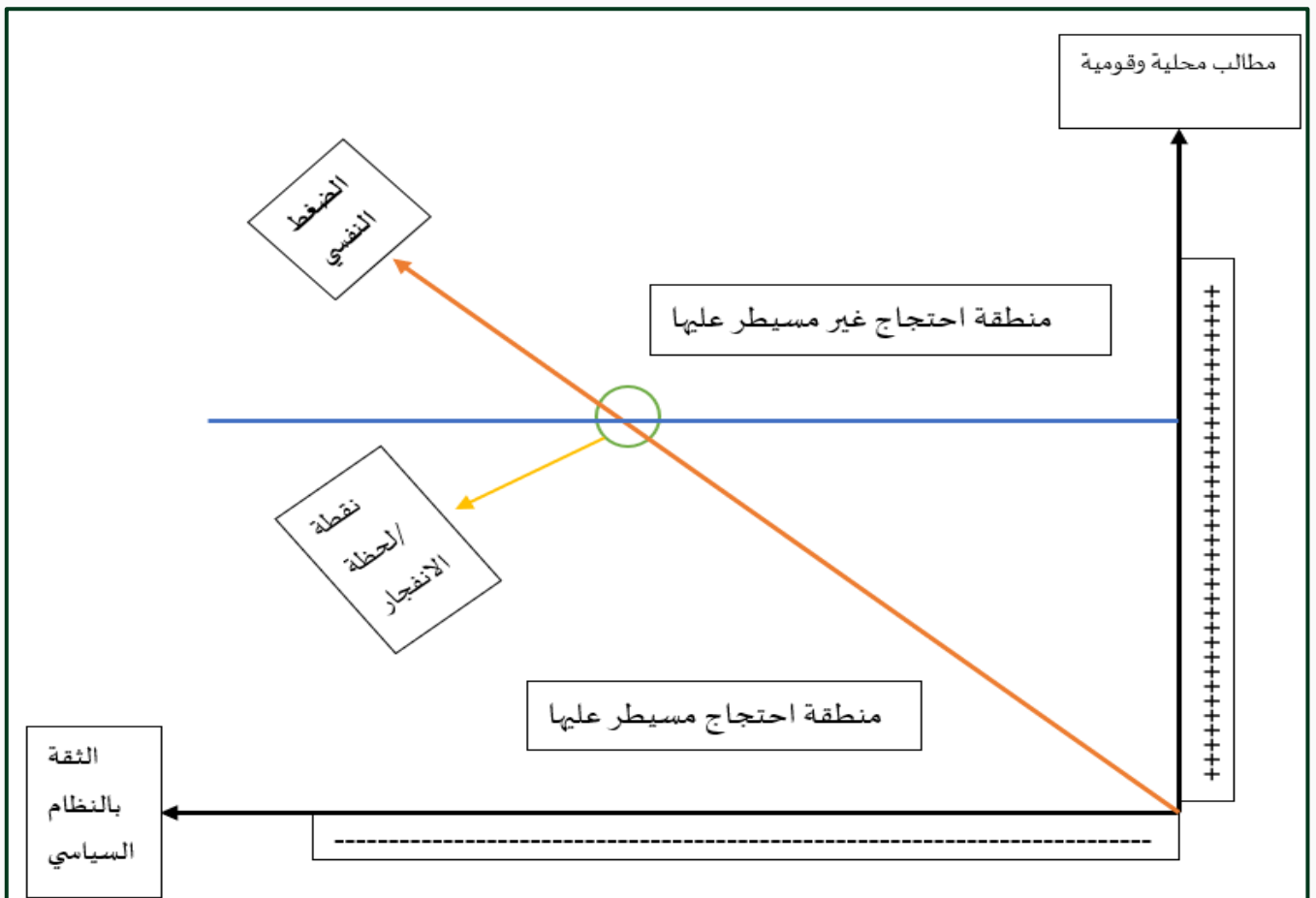
⁶⁸ "اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة"، برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كانون الثاني/ يناير 2024، ص 8.



لم يكن الربيع العربي حالة انفجار لحظيٍّ على النظام السياسي لاستبداده وسلبه للحقوق فقط؛ بل هو فعل تراكمي طويل، امتد من فترة بناء الدولة القطرية إلى لحظة الانفجار الثوري في تونس، ومن ثم مصر، فاليمن، فسورية، فليبيا، فالسودان، ليصل إلى نقطة التُّور في الربع الأخير من عقد الثورات العربية. بعد هذا التُّور راكمت الجماهير العربية مجموعة من الهموم المحلية، ثم استطاع حدث 2023/10/7 أن يمزج تضامن الشعوب العربية مع فلسطين بمطالبهم المحلية، ما ينبئ بإسهام ردة الفعل العربية على هكذا حدث في لحظة انفجار داخل نظام قُطري، لا سيّما دول طوق فلسطين، بمداه القريب أو البعيد؛ تبعاً للتراكم الكمي للغضب الجماهيري نتيجة تراكم المطالب (مُحلية وقومية)، مع نقصان الثقة بنسق النظام السياسي نفسه (حكومة، برلمان، قضاء)، ما يؤدي إلى فعل احتجاجي عربي جديد لا يُمكن للنظام السياسي السيطرة عليه (انظر الشكل 10).

الشكل 10: نقطة الانفجار العربي نتيجة تراكم المطالب المُحلية والقومية ونقصان الثقة

بالنظام السياسي



يمكن أن ترسل هذه المؤشرات والشكل الأخير تنبيهاً للأنظمة السياسية العربية بأن الشعوب العربية قادرة على الانتقال من حالة السكون (المقاطعة، والتضامن،... إلخ) إلى حالة الانفعال والفعل الاحتجاجي ضد النظام الفُطري وزعزعته.⁶⁹ لعل لحظة الانفجار في وجه النظام لا يمكن أن تُحسب بتوقيت زمني أو حتى مكاني، لكن ما يمكن التنبؤ به هو أنها ستؤدي حتماً إلى خلخلة الاستقرار داخل نظام سياسي فُطري نتيجة حدث كالسابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 "طوفان الأقصى".

خاتمة:

لم تكن القضية الفلسطينية في النفس العربية (أفراداً وجماعات) مجرد شعار أو رمز لمظلومية واقعة على الفلسطينيين فقط. إضافةً إلى الشعور العربي العام بالمعاناة المتراكمة منذ 1948، فإنها تشكل محركاً للكينونة العربية والإسلامية وبوصلةً لها، وقد احتضنتها الشعوب العربية تحت بند الأولوية الأولى والمقتضى المركزي الذي تنطلق منه الجهود المختلفة للعمل على حلها، أو حتى على الأقل محاولة التخفيف من المعاناة الفلسطينية بكلّ الوسائل.



لم تشهد القضية الفلسطينية فتوراً كالذي شهدته في الربع الأخير من عقد الثورات العربية، حيث غلبت عند الأنظمة السياسية العربية الأولويات الفُطرية على الأولوية المركزية، وأصبحت القضية مبادئ مجزأة تحمل على عاتقها حيزاً ضيقاً (مساعداً ومنح مالية... إلخ) مقابل ترك اللب الأساسي،

بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، لتنفصل عن لُبنة مجتمعاتها وما تريده لتحقيق الوحدة والتحرر (الحلم العربي). هكذا جاء السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 زلزالاً صعق المنظومة العربية ومشروعها الإحلالي في فلسطين، مبعثراً الأوراق (محلياً وإقليمياً ودولياً)، موقفاً نزيه التنازلات الرسمية العربية، لبدأ

Dana El Kurd, Arab Public Protests Against the War in Gaza Continue, Arab Center Washington DC, ⁶⁹ 30/04/2024, <https://arabcenterdc.org/resource/although-limited-arab-public-protests-against-the-war-in-gaza-continue> (accessed on 9/9/2024)



بإعادة تشكيل المفاهيم على مسرب قواعد حقيقة الصراع العربي - الصهيوني، بأنه صراع قائم على الوجود وليس على الاعتراف والقبول والحدود.

يتراءى للوهلة الأولى مع انطلاق الاحتجاجات التضامنية في الوطن العربي ضدّ العدوان الصهيوني على قطاع غزة لسنة 2023 حدثٌ مثل الربيع العربي لسنة 2011. وقد يفصل البعض بين طوفان الأقصى والربيع العربي، إلا أن الشعوب العربية بتضامنها الأخير استطاعت أن تمزج بين مطالبها المحلية ومطلبها القومي، كما فعلت من قبل في أحداث الربيع العربي، فالعلاقات العربية تلاحمية تتأثر وتتأثر فيما بينها، ومن الاستحالة أن تقطع أوصالها حدود سياسية، أو تنازلات الأنظمة العربية وتواطؤها مع الكيان الصهيوني.



Abstract

The main objective of this study is to examine whether the Palestine issue has been a driving factor in the Arab Spring revolutions by analyzing the case of Operation al-Aqsa Flood and its role as both a determinant and catalyst for Arab popular movements. This is explored through a central question: Will Operation al-Aqsa Flood serve as a catalyst for Arab popular movements against their political systems?

At its core, the Arab Spring consists of various influences—both visible and latent—that shape the Arab citizen's political and geographical reality. These influences drive popular action, shaping behavior toward change or revolution. In this context, an event like Operation al-Aqsa Flood could unsettle Arab political systems and serve as both a determinant and motivator for populations demanding change.

To explore this, the paper adopts a descriptive-analytical methodology, incorporating historical analysis of events alongside the examination of reports, statistical data, and bibliographies relevant to the research scope.

Keywords:

Arab Spring	Arab movements	Palestine issue	Operation al-Aqsa Flood
-------------	----------------	-----------------	-------------------------

